الازدواجية اللغوية في استخدام اللغة العربية

Imam Muslimin

Email: imammuslimin66@yahoo.com
Fakultas Humaniora dan Budaya UIN Malang
Alamat Korespondensi: Jalan Gajayana 50 Malang

Abstract

Al-Izdiwajiyyah (diglosia) is standardizing a specific language when there are two variants of language that live side by side in societal life and each variant has its own social function. Disglosia is related to the use of local languages variations of low language and high language in a community. In Arabic language, disglosia covers dialects among the speakers, for instance there are two variants of language that each has roles and functions. The use of the variant depends on the situation. The most important characteristic of diglosia is specifying the functions of wach language variant. For high level language variant is aimed for formal situations such as religious ceremony, lectures, news, or editorials of newspaper. On the contrary, the low level language variant is commonly used in less formal situation such as daily communication in the family, chat with friends, stories in radion, and folk literature. In Arabic language, diglosia can be identified when the speaker of the language use diction commonly used for daily communication (amiyah) in a formal expression (fusha), and vice versa.

Keywords

Al-Izdiwajiyyah, Fushah, Ammiyah

مقدمة

إن علم اللغة الاجتماعية هي جزء من علم اللغة التطبيقي الذي يبحث عن اللغة وعلاقتها بالمجتمع. وأيضا يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية، واللهجات الاجتماعية، والازدواج اللغوي، ويعني بملاحظة التفاعل بين كل من اللغة والمجتمع وتأثير كل منهما في الآخر متعمدا على مباديء كل من العلم اللغة وعلم الاجتماع (السيد، 1995:19).

ومن أهم مجالات هذا العلم التخطيط اللغوي الذي يعالج قضايا كثيرة مثل تقرير نظام الكتابة واختيار اللغات الرسمية وأساليب المحافظة عليها وتطويرها (منصور، 1982:11). يحرص علم اللغة الاجتماعية على الإحاطة بكل شيء فيعني بالمتكلم، واللغة التي يستعلها، والمتكلم إليه، وزمن التكلم وما ينتهي إليه الكلام.

فالمهارات اللغوية الأربع، وهي الكلام والاستماع من جهة، والكتابة والقراءة من جهة أخرى، موزعة على مستويين اثنين من مستويات اللغة: المستوى العامي والمستوى الفصيح. إن اللغة الفصحى هي المستعملة في الكتابة والقراءة اللذين بهما تنشأ لغة الفكر والعلم، فيما تُستعمل العامية غالباً عند الحديث أو الاستماع في غير القراءة. والحلّ ليس في إلغاء أحد المستويين اللغويين للآخر، فوجود المستويات اللغوية، ومن بينها الفصحى والعامية، هو من طبيعة اللغات ذاتها في المجتمعات المتحضرة، كما أثبت ذلك علم اللغة الاجتماعي.

وفي هذه المقالة، قدم الباحث بموضوع الازدواجية اللغوية التي تطلق على لغتين متشابهتين من أصل واحد، وهي ظاهرة طبيعية، تميزت بها اللغة العربية، وغيرها من اللغات، إلا أنها وجدت خارج الوطن العربي بشكل أضيق. ظاهرة تعدد اللهجات في اللغة الواحدة, عادة ما تكون واحدة من هذه اللهجات رسمية . ومثال عليها اللغة العربية حيث تتعدد فيها اللهجات و كل ذي لسان عربي يفهم اللهجات الأخرى في لغته. وفي جماعة اللغة توجد نوع من أنواع اللغة التي تستعمل في حالة معينة، وهذه اللغة معروفة باللغة الرسمية/الفصحى وغير الرسمية/العامية (Chair, 1995:121).

مفهوم الازدواجية اللغوية

الازدواجية اللغوية أو الازدواج اللهجي أو الديجلوسيا هي نوع من القيود الاجتماعية المفروضة على الوحدات تتخذ صورة قيود على "نوعيات واسعة الانتشار" بدلا من القيود التي تقتصر على كل وحدة على حدة (هدسون، 2002:8). وتوجد معنى أخرى بأن الازدواجية اللغوية هي وجود أكثر من مستويين للغة، جنبا إلى جنب في مجتمع من المجتمعات بحيث يستخدم كل مستوى من مستويات اللغة في أغراض معينة.

أول ما استخدم هذا المصطلح في علم اللغة الاجتماعي وهو شارلز فرجسون Charles Fergusson (1959)، حين كان يصف الموقف اللغوي في اليونان (Yunani modern) والعالم العربي (Arab) وسويسرا الناطقة بالألمانية (Jerman Swiss) وجزيرة هاييتي (Kreol Haiti). ففي كل مجتمع من هذه المجتمعات تنوعان لغويان متميزان من اللغة نفسها، ينظر إليهما الشخص العادي على أنهما لغتان منفصلتان، وهما لغة الفصحى التي تستعمل في المناسبات الرسمية و لغة العامية التي تستعمل في الحياة اليومية العادية (السيد، 1995: 149).

ويوجد في هذه المجتمعات نوعيتان منفصلتان متميزتان تميزا كافيا بشكل يسمح للعوام بوصفها على أنهما لغتان منفصلتان، تستخدم إحداهما في المواقف الرسمية والعامة، بينما تستخدم الأخرى في الظروف العادية واليومية. وقد يتعلق الازدواج اللغوي بتنوعين لغويين ليس بينهما صلة. والمثال من الازدواج اللغوي في سنغافورة تستعمل فيها أربع لغات تختلط بعضه بعضا وهي: الإنجليزية، والماندارينية (وهي تنوع من اللغة الصينية)، والتاميلية، والمالايية.

ومع ذلك يتكلم أغلبية سكانها اللغة الهوكينية التي هي تنوع لغوي أخر من الصينة. فاللغة الإنجليزية لغة التجارة، والماندارينية لغة صينية دولية، والمالايية لغة إقليم، والتاميلية لغة إحدى الجماعات العرقية المهمة في الجمهورية. والطفل الصيني الذي ينشأ في سنغافورة يميل إلى التكلم بالهوكينية مع والديه ، وبالإنجليزية السنغافورية العامية مع أقاربه، أما الحديث مع الأصدقاء فيكون بالهوكينية أو الإنجليزية السنغافورية العامية، وأما لغتا التعليم فهما الإنجليزية السنغافورة الفصحى واللغة الماندارينية (السيد، 1995: 150).

ومثال أخرى التي كتب من كتاب علم اللغة الاجتماعي لهدسون: كانت اللغة المستخدمة في جماعة "ديجلوسية" تتسم بالازدواج اللغوي، نوعية

محلية من اللغة العربية (وقد تكون هناك اختلافات كبيرة بين أي من اللغات العربية واللغات الأخرى، وقد تصل هذه الاختلافات أحيانا إلى درجة عدم الفهم المتبادل)، ولا تتباين بين أكثر الناس خطا من التعليم وأقلهم خطا منه. ولكن وجب أن يستخدم اللغة الرسمية المتواضع في محاضرة الجامعة أو خطبة في المسجد. وهذا النوع تختلف كثيرا عن اللهجة المحلية الشائعة vernacular، لدرجة أن هذه النوعية تدرس في المدارس بنفس الطريقة التي تدرس بها اللغت الأجنبية. وعندما يتعلم الأطفال الكتابة والقراءة فإنهم يتعلمونها أو يدرسونها باللغة العربية المتواضع عليها بدلا من اللهجة المحلية الشائعة (هدسون، 2002:90).

سِمَاتُ الازدواجية اللغوية

اختلاف بين المجتمع التي تتسم بالازدواج اللغوي والمجتمع المتحدثة باللغة الرسمية، يمكن في أنه لايوجد في المجتمع الديجلوسية فرد واحد يتمتع بميزية تعلم "النوعية العالية/المرتفع" (Ragam T High variety / [Tinggi]) التي المستخدمة في المواقف الرسمية وفي التعليم. وفي حالة الأخرى يستخدم لغة الأم لأن الجميع يتحدثون "بالنوعية الدارجة/السفلى/المنخفض" (Ragam R [Rendah] Low variety /) في المنزل (هدسون، 2002:90). أعطى فرجسون نموذجه التالي لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة (Ferguson, 1959:328):

رقم	الحالة	عال	منخفض
1	الوعظ في المسجد (أو الكنيسة)	×	
2	التعليمات للخدم والعمال والكتبة		×
3	الرسائل الشخصية	×	
4	الخطبة في مجلس الأمة، الحديث السياسي	×	
5	محاضرات الجامعة	×	
6	الحديث مع الأصدقاء والزملاء وأفراد العائلة		×
7	إذاعة الأخبار	×	
8	التمثيليات الاجتماعية في الإذاعة		×
9	افتتاحية الصحف، أخبار الصحف والعناوين	×	
10	التعليق على الكاريكاتير		×
11	الشعر	×	
12	الأدب الشعبي		×

لذلك، فإن الازدواج اللغوي لا يضمن المساواة اللغوية (Linguistic Equality) بين الغني والفقير. بل الاختلافات تظهر في المناسبات العامة الرسمية التي تتطلب استخدام النوعية العالية على عكس ظهورها في المواقف التي تحدد فيها انتماءات الفرد الاجتماعية فور نطقه باللغة. وحدد فرجسون بالشديد في عدد من النقاط، ولكن بعض العلماء قد تجاوزوا ذلك التحديد باستخدام هذا المصطلح للدلالة على مواقف قد لا تعد ديجلوسية تماما إذا ما اتبعنا هذا التعريف بدقة.

قد وجد أن الاختلاف بين الجماعات الديجلوسية وغير الديجلوسية ليس أقل أهمية، ولكنه قد يتضح أنه أقل وضوحا مما ضمنه فرجوسون في تعريفه للديجلوسيا (Ferguson,1959:92). هناك تسع موضوعات التي تميز بين النوعية العالية و النوعية الدارجة، وهي: الوظيفة (Fungsi)، الهيئة (Prestise)، إرث الأدب (warisan sastra)، اكتساب اللغة (Pemerolehan Bahasa)، المقياس (Standarisasi)، استقرارية (Stabilitas)، القواعد (Gramatika)، المعجم (Leksikon)، الأصوات (Fonologi) (www.sastrainggris.2forum.biz/kajian-linguistik.com).

وساعد الجدول الآتي مواضع الازدواج اللغوي فيما يلي:

رقم	منخفض	عال	الموضوع
1	استعملت اللغة العربية العامية في حالة غير الرسمية	استعملت اللغة العربية الفصحى في حالة الرسمية	الوظيفة
2	أسفل الدرجة	أعلى الدرجة	الهيئة
3	الأدب الشعبي	الشعر	إرث الأدب
4	بالتكلم مع الأهل والأصدقاء	بالدراسة في المدارس	اكتساب اللغة
5	جرى على تنظيم مجتمع	قد قاس اللغويين	المقياس
	اللغة	بالقواعد الخاصة	
6	متساوي بالعالي ولكن أكثر استعمالا في المجتمع	استمرار استعماله وقليل في حياة اليومية	استقرارية
7	غامض وخفي	ثابت وواضح	القواعد
8	يستعمل في الكلام وصعب أن يكتبه نحو "أه" لاستفهامية العامية	يمكن كتابه نحو "ما" لإستفهاميه الرسمية	المعجم
9	مجموعة الرموز واختلاطات في المجتمع	بسيط ونظامه أساسية	الأصوات

العوامل المؤثرة في اختيار الأسلوب اللغوي

يعود سبب وجود ظاهرة الازدواجية اللغوية في المجتمعات إلى مجموعة عوامل أهمها (www.al-maqha.com):

أولا: نزوح عناصر أجنبية إلى البلاد

يعد الاستعمار بمختلف أشكاله أول الأسباب المؤدية إلى حدوث ظاهرة الازدواجية اللغوية؛ لأنه يأتي حاملا للغة غير لغة البلد المحتل و بقاؤه مدة طويلة في هذا البلد ينجر عنه احتكاك بين العنصرين؛ مما ينجم عنه احتكاك في اللغة،

ويكون في أغلب الأحيان بفرضها بالقوة في التعليم و الإدارات و مختلف مؤسسات الدول؛ مما يخلق ظاهرة ازدواجية اللغة. و هكذا يستمر الوضع حتى بعد الاستقلال، ففي أغلب الأحيان تبقى الدول المستعمرة على لغة المستعمر، فيتم اختيارها كلغة رسمية مثل اللغة الفرنسية في السنغال، النيجر، مالي، واللغة الإنجليزية في سنغافورة، وجنوب أفريقيا.

ومن جهة أخرى قد يمنح لها مكانة أخرى، فغالبا ما كان يترك لها، على الأقل، لغة علاقات دولية وتقوم بدور مهم في التعليم و لم يكن من النادر أن يترك لها أيضا جهاز الحكومة والعدل والإدارة، والجيش والشرطة وأمثلة هذه الأوضاع كثيرة، وأقربها إلينا الأوضاع العربية؛ فتونس عجزت على الاستغناء عن اللغة الفرنسية، مما جعلها تفضل سياسة الازدواجية اللغوية الدائم .

ثانيا: الهجرة

تتشابه الهجرة مع الاستعمار على حد تعبير ميجل ومكان، إذ أنهما يعبران عن حركة وتنقل شعب بلغته إلى مجتمع أخر ، إلا أنهما يختلفان من حيث السبب والهدف الذي جاءوا من أجله إلى هذا البلد، فالهجرة غالبا ما تكون للعمل، الترفيه، الدراسة أي لأهداف نبيلة عكس الاستعمار .

تحدث ظاهرة الازدواجية اللغوية كنتيجة حتمية للاحتكاك المتبادل بين المهاجرين وسكان البلد المهاجر إليه، ففي أغلب الأحيان يتم امتصاص المجموعة المهاجرة وتنسى لغتها الأصلية وفي هذه الحالة لا أثر للازدواجية اللغوية في هذا المجتمع، ولكن إذا كانت المجموعات المهاجرة متماسكة في المجتمع الذي هاجرت إليه، بحيث تحافظ على عادتها وتقاليدها، يمكنها في أغلب هذه الحالات أن تنشر لغتها فيه، خاصة إذا كانت هذه المجموعات وافدة بأعداد كبيرة.

ومن أمثلة ذلك؛ ما كان من أمر اللغة الألمانية إذ طغى استعمالها على الدول المجاورة لها لكثرة مهاجريها إلى هذه الدول مثل؛ سويسرا، تشكوسلوفاكيا، بولونيا ، النمسا. و اللغة الفرنسية التي أصبحت لغة الحديث و الكتابة لجميع سكان والونيا ببلجيكا.

ثالثا: الوحدة السياسية

ونعني به الوحدة السياسية التي تضطر الدول إلى فرضها؛ لتضمن تطورها و تفوقها على الدول الأخرى، حيث تلغي كل ما يؤدي إلى التفرقة والتشتت.

وهذا ما حدث في أغلب دول العالم، فالصين مثلا يوجد بها عدد كبير من اللغات المختلفة، لكن الدولة فرضت لغة رسمية على كل الصينيين وهي لغة الماندرين (mandarin)، ودول المغرب العربي التي يتحدث سكانها الأصليون اللغات الأمازيغية، في حين يتحدث المغاربة العرب اللغة العربية التي اختيرت لغة وطنية و رسمية في هذه البلدان بهدف تحقيق الوحدة، ولاعتبارات أخرى.

فهذه الوحدة اللغوية التي تعمد إليها الدول، تنشئ ظاهرة الازدواجية اللغوية؛ لأنه يصبح من الضروري تعلم اللغة المعتمدة من طرف الدولة، وبالتالي يضطر أصحاب الخصوصيات اللغوية استعمال اللغة الرسمية في البلاد زائد لغتهم الأصلية.

رابعا: العلاقات الخارجية

تؤثر العلاقات التجارية و الإعلامية و الثقافية بين الدول - المختلفة اللغة - على لغاتها، إذ أنه كلما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر، وكثرت فرص الاحتكاك نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي ومن أمثلة ذلك، شيوع اللغة الإنجليزية وانتشارها في العالم كنتيجة حتمية للهيمنة الاقتصادية والإعلامية، وباعتبارها عضوا مسيطرا على مختلف العلاقات الدولية. فاللغة الإنجليزية تمثل لغة ثانية لـ370 مليون نسمة في أكثر من 70 بلدا مثل غانا و نيجيريا والهند، وسنغافورة ، كما أنها تدرس في باقي البلدان كلغة أجنبية أولى أو ثانية في مراحل التعليم المختلفة .

وما زاد في انتشار هذه اللغة وانتزاعها لهذه المكانة العالمية هو كونها اللغة المسيطرة على مختلف الهيئات الدولية في الأمم المتحدة، والمنظمة العالمية للتجارة (NATO) وهي اللغة الرسمية للملاحة الجوية الدولية، وهي اللغة السائدة في مختلف البنوك الدولية ووكالات الأنباء والصحافة والإعلام والسينما ومختلف العلوم والانترنيت، فعلى المستوى الإعلامي هناك أكثر من 960 برنامجا إذاعيا في العالم تبث باللغة الإنجليزية، وهي كذلك لغة 70٪ من البريد العالمي.

خاتمة

هذا البحث تحت الموضوع الازدواجية اللغوي مهم جدا للمتعلم و المعلم اللغة، عربية كانت أو عجمية. لأن في اللغة هناك خصائص وكيفية اللازم على متعلمها يفهم فهما تماما، وفي الديجلوسيا كما درسنا من قبل تحتوى على نوعين أساسيين، وهما "النوعية العالية/المرتفع" (Ragam T [Tinggi] / High Variety) التي المستخدمة في المواقف الرسمية وفي التعليم. وفي حالة الأخرى يستخدم لغة الأم لأن الجميع يتحدثون "بالنوعية الدارجة/السفلى/المنخفض" (Ragam R [Rendah] / Low Variety) في المنزل أو في حالة غير الرسمية. لأن مَنْ فهم لغة قوم سلم من أضرارهم.

المراجع

السيد، صبري إبراهيم. 1995. ***علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه***. إسكندرية : دار المعرفة الجامعية,

منصور، عبد المجيد سيد أحمد. 1982. ***علم اللغة النفسية***. الرياض: عمادة شوؤن المكبات – جامعة الملك سعود.

هدسون. 2002. ***علم اللغة الاجتماعي***. ترجمة محمود عياد. القاهرة: عالم الكتب.

Chair, Abdul dan Leone Agustina. 1995. *Sosiolinguistik, Perkenalan Awal.* Jakarta: Rineka Cipta.

Ferguson, Charles A. 1959. *Diglossia*.

www.al-maqha.com

www.sastrainggris.2forum.biz/kajian-linguistik.com